الاتضاع وانه الذليل الوضيع فما يضعه مثل محاولة الارتفاع ثم القذارة فهو يلبس الثوب فلا يخلعه حتى يبلى وقد التصق بجسمه لطول العهد ويعيش العمر فلا يباشره الماء الا يوم يولد في المهد ويوم يوضع في اللحد ان مرض راح يسير بين الناس بدمامله وقروحه كانه راى من طيب اخلاقه مايدعو الناس الى الالتفاف حوله فنفرهم عنه بشيء من خبيث ريحه بالله أيعمي الفقر القلب والبصيرة الى حد انه يسد دون الانسان مناهج الخير وسبل الرشاد وموارد الهدى وحتى لا يعود يميز بين خلق يقربه من الناس ويحببه اليهم ويستعطفهم على حاله وخلق يكون اشد بلاء عليه من بلاء الفاقة والعسر

نحن لا نلوم الفقير لانه يلبس الثياب المرقعة وانما نلومه اذا لبسها وسخة قذرة والماء مباح لديه لا يحتاج منه الا الى قليل من الهمة والارادة لغسل تلك الثياب وتحويلها من اللون القاتم المظلم الى لون ابيض نقي ومن تلك الرائحة النتنة الى رائحة طيبة . ان هذا الغني لا يأنف من مجالسة الفقير لانه بالي الاثواب ولا يتبرم منه لو زاره لان ثيابه مرقعة بل يتجهمه لان حاله تؤلم النفس والعين ولانه يخشى على نفسه من انتقال شيء اليه مما يعلق فيها من الجراثيم والاوساخ ثم ماوراءها من العلل والامراض اذا سرت اليه عدواها

ونحن لا نلوم الفقير لانه يمرض وتنتابه العلل وانما نلومه على وجود الاطباء تعالجه مجاناً وهو يهمل امر علاجه ولانه بدلا من ان يستر عورات فقره يزيدها بيده ظهوراً لدى الناس

ان بين الفقر وهذه العيوب التي ذكرناها بوناً بعيداً واذا كان قيل ان الفقراء لهم الجنة فقد قيل ايضاً ان النظافة من الايمان فمن لا نظافة عنده

لا ايمان له ومن لا ايمان عنده فمحال دخوله الجنة

« حنا سركيس »

﴿ اختلاف العقول ﴾

لئن تشابه الناس كثيراً في تكوينهم وطبائعهم الغريزية وكل ما كان من الخلقة الفطرية لقد اختلفوا جداً في شؤون معايشهم واحوالهم الظاهرة وكل ماجاء من عند حالات النفس المكتسبة حتى لقد يكاد كل انسان يكون من هذا الوجه عالماً منفرداً بذاته وكوناً مستقلاً في حيزه وذلك لعظم مانجده من الاختلاف بين افراد الناس وقيام كل واحد منهم عند حد معروف . بل نحن من هذه الناحية لا يكاد الواحد منا يشبه اخاه في شيء بالاطلاق فكاننا مختلفون في نفوسنا وعقولنا كاختلافنا في وجوهنا وسحناتنا وهو شأن يوشك الانسان ان يكون منفرداً بالاختلاف فيه عن سائر انواع الموجودات الحية

فنحن قد نرى الانسانين من موطن واحد وقبيلة واحدة بل نجدهما من نفس المنزل وذات العيلة فنرى احدهما يباين الآخر في نفسه مباينة شديدة ويغايره في خلقه وحاله مغايرة كثيرة ونعاين هذا في حالة قد سرته وسرت مشاهديه وذاك في صفة قد منعت عنه سروره واحزنت من اجلها رائيه فهل كان ذلك عن قضاء لا حيلة له فنقول لا راد لقاضيه ام هو قد كان من الانسان نفسه وهو ما نعجب له ونبحث فيه

اما كون الناس قد ولدوا مختلفين بعقولهم ومداركهم هذا الاختلاف ونشأوا على ذلك نشوءاً لارادَ له ولا حيلة فيه فقد لايبدو صحيحاً لدى اعتبار الحقيقة لانه لم يكن كذلك في سائر الموجودات بين احياء ونباتات فاننا اذا اعتبرنا الانسان حيواناً فقد وجب ان يكون كانواع الحيوان اذا تفاوتت في المناظر والهيئات تشاكلت كثيراً في الافهام والمدارك وخصائص العقل واذا جاز لنا تشبيهه بالنبات فقلنا الانسان نبات متحرك منتقل فاننا قد نزرع النوع الواحد من النبات في بقعة واحدة من الارض ونعتني بجميع بزوره عناية واحدة فيزكو كله وينمو اذا اتفق له ذلك او يكون على الضد كله ايضاً اذا لم تتفق له اسباب النماء

واما كون الناس قد اختلفوا في افهامهم واقتدار عقولهم باسباب جاءت من عند انفسهم دون الخلقة الطبيعية فقد يكون اقرب الى الصواب لازهذا الاختلاف الشديد بين الطائفة الواحدة من الناس التي تكون قد نشأت في موطن واحد ودرجت على خلق واحد وهيئت لها اسباب واحدة مما يبعد ان يكون كله قد ورد من جهة الطبيعة بل الارجح ان الانسان نفسه هو الذي تصرف بذلك فانشأ واحداً من افراده مدركا نبيهاً وانشأ آخر ضعيفاً خاملا. والذي يسوقنا الى ترجيح الاعتقاد في ذلك اننا نجد مثلا خمسين تلميذاً في صف واحد يتلقون فرعاً من العلم فنجد ان واحداً او اثنين منهم فقط قد بلغا غايته واستكملاه وتجد سائرهم قد تخلفوا دونه وتفاوتوا فيه مغايرة بعيدة مع ان الاسباب كلها كانت متشابهة وطرق التعليم متوحدة فضلا عما كان لهم من الاشتراك بالاقليم الواحد والبقعة الواحدة وهو شأن حقيق ان يدعو الى العجب وان يصرف ذهن المتعجب عن قوة الطبيعة فيه الى قوة التصرف او

السياسة والاحتيال. ولقد ترى الجماعة من قبيلة واحدة تمرّن على نوع من الصناعة ولها جميعها الآلات الواحدة والاسباب المتشاكلة فضلاً عن صحة الجسم ومطاوعة اليد ولكنك تجد نفراً قليلين قد مهروا فيها وترى سائرهم قد اشتغل فيها اشتغال مقصر وكان بمثابة من يقلد مارآه تقليداً خارجاً عن حدود الصناعة مبتعداً عن شروطها. فاذا كانت المهارة مما قد عينه الطبيعة ورسمته الفطرة فقد وجب ان يكونوا كلهم ماهرين لانهم ابناء تلك الطبيعة واذا كان التقصير من محدودات الطبيعة ايضاً فقد تعين ان يكونوا جميعهم مقصرين واذا قيل بل الاختلاف من شروط الطبيعة فقد يرد عليه بان الاختلاف يجب ان يكون طبيعياً مألوفاً فيكونوا متقاربين في اختلافهم على ابعاد في المدارك منتسقة المسافة

ولما كان الذي بدا لنا ان الشأن لم يكن في شيء من هذا فقد وجب ان يكون اكثر السبب في هذا الخلاف قد اتى من ناحية التصرف القاصر في تدبير الناس بعضهم بعضاً وجاء من السياسة الفاسدة في التعليم وعدم توجيه المتعلمين الى حيث تسوقهم اميالهم وتقودهم مودتهم ورغبتهم. ولا شك ان الجري مع رغبة كل متعلم وموافقته في الانقياد الى حيث ترسله عواطفه لوكان قد روعي منذ القديم لما كان افضل معدوداً فضلاً بالقياس لى المفهوم منه الان بل لقد كان العظماء القلائل الذين يذكرهم لنا التاريخ انما هم عظماء من بين الوف من امثالهم او لم يكن يذكر لنا منهم احداً لفرط كثرتهم بل ذكر قوماً كانوا ارقى منهم بكثير وقد سمح بهم القضاء من قبيل مايسمونه بفلتات الطبيعة

ننظر الى الولد من ابنائنا فنشاهده متسع الادراك حسن البيان بعيد

النظر لطيف القصد فنقول كم يبلغ هذا الغلام من سمو الحكمة والعقل لو علمناه وصقلنا عقله وارهفناه فندفعه الى المدرسة يتعلم بها الهندسة مثلاً فيفني ايامه تحصيلاً وكداً ثم يرجع وهو ليس على شيء من ذلك العلم حين اضافة مقداره الى مقدار المدة التي قضاها والى مبلغ حذقه الذي عرفناه فيه. وما كان هذا لان المعلم قصر او ان المدة ما كفت اوان العقل قد قل بل كان ذلك لان الهندسة لم تصادف من نفس الغلام هوى فيوجه اليه عقله وذكاءه ولكنه كان كانه يتعلم لقضاء مدة معينة عليه او واجب الزم بقضائه الزاماً ثم هو قد تبدو براعته ومهارته ويلوح زكاء العلم في صدره وهو في المدرسة ولكنه يكون هناك اشبه بالمقلد الماهر حتى اذا خرج واعفي من قطع المسافة ووفاء المدة فارقه كل ذلك وارتد الى سابق عهده حاذقاً في الحالات المتفرقة التي كان عليها من قبل فكان عقله بذلك كبزة جيدة النوع ولكنها القيت في تربة لا تلائمها ولا تزكو فيها فبدت جودة نوعها ولكن ما بدا محصولها ثم ترى الغلام الداني الادراك القصير النظر تلقيه الى مدرسة يتعلم بها علما فيتفق ان يصادف ذلك العلم هوىً في فؤاده ومودة من نفسه فيبرع به حتى النهاية ثم يطول بعد ذلك على زميله ويكون احسن منه حالاً وابعد ذكراً وصيتاً وكم بيننا الان الوف الالوف من هذا الخلق يحلون من هذا الوجود مراكز لا تلائم عقولهم وافكارهم او هي ادنى من استحقاقهم الاصلي بكثير وقد سقطوا فيها كلهم من سوء التصرف في تدبيرهم وقلة الحيلة في توجيه عقولهم. وذلك الشأن يسميه الناس بقضاء الطبيعة وتقدير الزمان وما كان للطبيعة من مساءة في مثل هذه الحالات الا ان تخلق فلاناً اعمى حتى يتعذر عليه التحصيل وفلاناً اعرج او مجنوناً فيمتنع عنه الجهد والكد وهي اضرار لا تكاد

تذكر في جنب جمهور الناس وما بقي من جسيم الاضرار فانما كان كله من قبل الناس نفوسهم

ولقد ادرك الاوربيون هذا الشأن اخيراً وجروا اليه فكان لهم منه نجاح عظيم هو كل السبب في تقدمهم وتأخرنا دون الذي ندعيه من تفاوت الافهام فيما بيننا. فان الكتاب مثلاً كانوا عندهم يعدون بالآحاد فلما وجهوا كل نفس لما ترغب اصبحوا يعدون بالالوف وكذلك صار المهندسون والاطباء والشعراء وكل ذي علم وصناعة. ثم قد كان التفاوت عظيماً بينهم من قبل فاصبح الآن قليلاً وكان الانفراد عندهم شائعاً في كل صناعة ملازماً الآحاد في كل علم فصار الآن من النادر ان ترى واحداً منفرداً في علم لا يدانيه فيه احد وآخر مستقلاً في صناعة ليس كمثله فيها صانع بل اصبحت تشاهد السابقين البارعين عشرات عشرات وكلهم متشاكلون في افهامهم متقاربون جداً في مداركهم وهو مايدلك على ان قوى العقول في الناس لا تختلف الى الحد الذي كنا نزعمه ولا يزال كثيرون منا يعتقدون به وينسبونه الى المواهب الطبيعية. اما العظماء الذين خرقوا احكام العادة من قبل ولم تشاهد الدنيا نظائرهم فيما بعد فهم ولا شك قد كانت عقولهم من فلتات الطبيعة كما ان العلوم التي اشتغلوا بها كانت من محبوباتهم فوصلوا الى ما وصلوا من الانفراد والتوحد ولكن ذلك التوحد الذي نالوه لا يدوم طويلاً اذا اكثر عالمنا الاخير من الحيلة على التعليم وحسن السياسة في تلقين كل نفس ما تهوى لان اولئك العظماء الاقدمين الذين يقول الافرنج عن امثالهم انهم ماتوا وتركوا فراغاً ما ملأه احد بعدهم ليسوا بناس من غير هذا الناس وما كانت الدنيا تسمح بقوم في حين وتضن بمثلهم في حين وهي هي لم تتغير ادنى تغير في حالاتها. وان الافرنج في سياستهم الاخيرة

التي نشير اليها قد اعادوا اليهم كل عظمائهم السابقين حتى لم يعد عندهم حيز يشكون فراغه ونحن اذا جرينا جريهم فسيكون عندنا كثيرون من مثل عظمائنا السابقين ولاسيما ان سبل التحصيل قد صارت ممهدة ومسافات العلم قد اضحت دانية واما اذا كان كل مهندس فينا لايعلم اولاده الا الهندسة حتى لايضيع مهنة الاسرة والطبيب لايرضي بتعليم ابنه غير الطب حفظاً لشرف العيلة فما ابعد النجاح عنا وما انأى الارتقاء بل نحن نعيش في دنيانا وهي تسير الى الامام ونحن الى الوراء

﴿ الام ورجال المستقبل ﴾

« تابع ماقبله »

ويوماً تناولت الام زهرة من الورد وقالت لابنها . اخبرني ياروبرت عن اوجه الشبه التي تراها بين هذه الزهرة وشقيقتك

الولد ان لونها يحاكي لون خديها وكذلك الاوراق من حولها تشابه شعرها

الام احسنت فاخبرني الان هل تجد صعوبة بحمل هذه الزهرة

الولد كلا فانها خفيفة جداً واخذها رافعاً يده برشاقة

فاعطته حجراً التقطته عن الارض قائلة . وهل يمكنك ان ترفع هذا الحجر بسهولة كما فعلت بالزهرة فاخذه منها وقال نعم ياماه غير اني اجد الزهرة

اسهل رفعاً

الام وهل تقوى على حمل الكلب

الولد لااعلم غير اني اراه كبيراً جداً فلا بد ان يكون ثقيلاً جداً

الام اتظن انك تقوى على حمل شقيقتك اليزا « ولها من العمر ثلاث سنوات »

الولد لقد حاولت ذلك البارحة فتمكنت من رفعها ولكن بتعب عظيم

الام اذن فقد فهمت ان لكل شيء ثقلاً يختلف باختلاف النوع والحجم فشقيقتك ذات وزن كالكلب والزهرة غير انها اثقل منهما وهذا هو السبب في ماتجده من الصعوبة بحملها والان قل لي هل تعرف ان ترسم هذه الحصى على ورقة

الولد قد يستحيل عليَّ ذلك

فجعلت الام الحصى على الارض واشارت الى الظل الذي بدا بجانبها قائلة ارسم ياروبرت نظير هذا الظل . ففعل الولد واراها اياه

الام احسنت ياولدي فاعلم ان هذا الرسم هو شكل الحصى ولكل شيء شكل

الولد فالحصى اذاً ذات شكل مستدير ياماه

الام اجل يقال مستدير او وبالتالي كروي . فماهو شكل الزهرة

الولد مستدير ايضاً ويتفرع منه اوراق ذات الوان

الام وما هو شكل شقيقتك

الولد لا اعلم فهو مستطيل ومستدير ويتفرع منه اجزاء وتقاطيع والوان

الام اجل والكلب ايضاً ذو شكل واجزاء والوان وهكذا كل ما في